فیما کتب و یکتب عن ثورة الامام الحسین السبط(ع)

رضیه طهمازی ـ مدرس

إن ثورة الامام‌الحسین السبط(ع) لا تحتاج الی تعریف و بیان، فإنّها غنیّة عن کل ذلك، و حقاً لقد علم بها الخالق و المخلوقون، و یکفي أنّها صنعت التاریخ و لم یصنعها التاریخ نفسه، و غرست في کل نفس أبیّة بذرة الاباء الرفض لکل أنواع الظلم و الطغیان، و أنها أعادت و حفظت المسار الحقیق الذی رسمه حبیب الله و خاتم رسله (ص)، بعد الانحراف و العدول الذی تعرّض الیه من خلال تسلّط حکام لم یکونوا أهلاً لذلك، و ذلك لأسباب بیّنة نحن فی غنی عن ذکرها هنا.... حیث صدی قوله الشریف(ع): "خرجت لإصلاح أمّة جدّی رسول الله(ص) " ینعکس في کل لحظه و من خلال کل ذرّة من ذرات السماوات و الارضین، منذ ذلك‌الحین الی یوم یبعثون.

فلیست الکتابه فی هذا الموضوع هو للتعریف بها ـ الثورة ـ فالشمس لا تحتاج الی بیان، بل لنیل الفائدة المطلوبه و المبتغاة منها في رسم النهج القویم لسعادة الحیاة الدنیویه و الاخرویه، و غرس الروح الحسینیه فی النفوس، حیث لو کانت الروح الحسینیه فی جنبي کل مسلم، بل کل حر من عبودیة غیر ا... لما تجرّأ الظالم علی ظلمه للاخرین، و لما اتیح للمستکبرین استغلال و استضعاف العباد....

لقد کتب کثیرون عن ثورة الامام الحسین السبط الشهید(ع)، من اسلامیین و غیر اسلامیین، منذ شهادته(ع) و لحد الان، و لا یزالون،... و قد کتب کل منهما من الجانب الذي تأثّر به، و بالمدی الذي وصل الیه، و بالتحلیل و التفسیر الذی بادر الیه ضمن حدود و اطار عقیدته، و ظروفه، و موقعه،...

فالذین کتبوا فی هذه الثورة العظیمه، المثیره للثورات الحقّه الحرّة علی مدی الزمان، ینقسمون الی مایلي:

۱ـ البعیدون فکریا و منهجاً عن الحسین(ع)، و یمکن اعتبارهم من المبغضین.

۲ـ المحبّون للحسین(ع)،... و تشمل هذه المجموعه: المسلمین و غیر المسلمین، و بعبارة أوضح المسلمین والنصاری، حیث أن النصاری یکونون أقرب موّدة للمسلمین وفق الآیة الشریفه: "... و لتجدنّ أقربهم مودة للذین إمنوا الذین قالوا إنّا نصاری، ذلك‌بأنّ منهم قسیسن و رهباناً و أنّهم لایستکبرون"[۱]

فالقسم الاول قد کتبوا ولازالوا فی هذه الثورة العظیمه المعطاءة، و حلّلوها بما أملتها علیهم معتقداتهم و سلوکهم و ظروفهم التی عاشوها و یعیشونها. و تتلخص آراؤهم بمایلي:

۱ـ أنّ الحسین(ع) ألقی نفسه فی التهلکة، و هو محرّم وفق الآیة الشریفة: "و لا تلقوا بأیدیکم الی التهلکه"[۲] ناسین أومتناسین ما یصلها بما قبلها و ما بعدها معنیً و لفظاً،...

۲ـ انه(ع) قتل بسیف جدّه(ص)، لإنّه خرج علی امام زمانه یزید. (و قال جماهیر من أهل السنّة من الفقهاء و المحدّثین و المتکلمین: لا ینعزل ـ الحاکم الذی سمّوه اماماً ـ بالفسق و الظلم و تعطیل الحقوق، و لا یُخلع و لا یجوز الخروج علیه بذلك، بل یجب وعظه و تخویفه للاحادیث الواردة فی ذلك. و قال قبله: (و أمّا الخروج علیهم و قتالهم فحرام باجماع المسلمین و إن کانوا فسقة ظالمین، و قد تظاهرت الاحادیث بمعنی ما ذکرته و أجمع أهل السنّة أنّه لا ینعزل السلطان بالفسق)[۳]

و قد ثبت من مصادر هذه الاراء، أنّ أصحابها من الذین لم یدرسوا و لم یتفهّموا مسیرة أهل البیت(ع) و بالذات شخصیة الامام الحسین السبط(ع)،... فهم بعیدون کل البعد منها.

---

۱) المائده، ۸۲

۲) البقره، ۱۹۵

۳) النووي، شرع صحیح مسلم، ۱۲، ۲۲۹

أمـــا القـــسم الثـــانى ـ المحـــبّون للحسين﴿عليه السلام﴾ ـ من مسلمين و غير هم الذين تصدّوا لهـذه الثـورة العـظيمه، و الذى لا يوجد أيّ شك و إبهام فى حـبّهم له﴿عليه السلام﴾، فلكل منهم آراءه، حيث نذكر بعضاً منها:

اولاً: آراء المسلمين:

١ـ أنّ الحسين﴿عليه السلام﴾ خرج للاصلاح، و تصحيح ما حرّف فى دين جدّه﴿صلى الله عليه و آله﴾ بعد تسلط حكام لم يكونوا أهلاً لذلك و تولّيهم امور المسلمين و هم بعيدون عن الاسلام، كبعده عنهم، حيث خرج﴿عليه السلام﴾ لتصحيح المسار و النهج الالهى القويم الذى رسمه الخـالق لمخـلوقه مـن خـلال مـصطفاه و حـبيبه و خـاتم و أشرف رسله﴿صلى الله عليه و آله﴾، و ذلك فى قوله الشريـف الذى ردّد و لا يزال يردد صـداه جمـيع ذرات الكون منذ اطلاقه و الى يوم ينفخ فى الصـور، ألا و هـي المـقوله الحـقّه له﴿عليه السلام﴾: (خرجت لاصلاح أمّة جدىّ رسول الله﴿صلى الله عليه و آله﴾)،... خرج ﴿عليه السلام﴾ و هو لا يعلم بقتله و خذلانه وغدره من قبل أهـل الكـوفه الذيـن أرسـلوا له بـتلك الرسائل الجمّة، طالبين منه القدوم اليهم و تولّي أمورهم، و من قولهم له ﴿عليه السلام﴾: (... أقدم، فقد أيـنعت الثمـار، و اخـضرّ الجناب...)

٢ـ إنّه ﴿عليه السلام﴾ خـرج وفـق تكـليفه الشرعي الخاص، كإمام معصوم مؤيّد و مسدّد من قبل الله تعالى، و الذى لا أحد يـــعرف ذلك التكـــليف الذى خـــرج الامام﴿عليه السلام﴾ و فقه، إلاّ الله و الرّاسخون فى العلم...

٣ـ إنّه ﴿عليه السلام﴾ يعلم علم اليقين انّـه سيقتل، و ذلك من خلال علمه السياسي، حيث إلمامه التـام بـطبيعة ذلك المجـتمع الذى يعيش فيه، و معرفته الكامله لطبيعة و خلفيّة حكّام ذلك الوقت، و من خلال علمه الالهى (بشهادته) بأنّه إمام معصوم مسدّد و ملهم من قـبل اللـه تـعالى،... فخرج منادياً باسقاط الحكم الامـوى، و قدم نفسه و أعزّ ما يخصّه و ما يملك قرباناً على مذبح العقيدة مبتغياً بذلك وجه الله تعالى و مرضاته: (و من يـشرى نـفسه ابتغاء مرضاةالله)[1] ليحدث هزّة فكـريه يوقظ بها وجـدان الامّـة و يـفجر فـيها الحالة الثوريه لرفض الزيغ و الانحراف و الظلم، و ينال هو﴿عليه السلام﴾ الدرجات العليا بالشهادة فى سبيل ذلك و يلق ربّه راضيا مرضيا (يا ايتها النفس المطمئنة ارجـعى الى ربك راضية مرضيه)[2]

و هذا الرأى الأخير هو الذى يـتبنّاه المفكرون الاسلاميون و يأخذوا به، و هو أفضل ما قيل فى ثـورة الامـام السـبط الحسين الشهيد﴿عليه السلام﴾...

أقـــول: إن الامـــام الحســـين السبط﴿عليه السلام﴾ الذى لم يشهد إكمال حج بيت‌الله الحرام، الذى هو أقصى ما يبغيه المسلم المؤمن فى التقرّب الى ربّه تعالى، و الذى فسّره الكتّاب و المحللون بتفاسير و تحاليل شتّى،.. فبالرغم من قبول أغلبها، إلاّ أن كنه هـذا العـمل لا يكـون سـوى الاطاعه المحـضه لتـلبية دعـوة الحـبيب الخالق سبحانه و تـعالى، فـتوجّه﴿عليه السلام﴾ للطواف حول عرشه العظيم و الاحتراق و الذوبان بنور قدسه و عظمته كالفراشـة الطـائفة حـول الشـمعه المشـتعله (المتوهجه)، و الملتذة بالاحتراق بـنورها، للحفاظ على قوام رسالته جلّ و علا التى هـــى ديـــن جـده﴿صلى الله عليه و آله﴾،... ألم يكـن هو﴿عليه السلام﴾ القائل: (أن كان دين محـمد لم يستقم إلاّ بقتلي، يا سيوف خذيني)؟ و ألم يكن هـو مـن المـقصودين فى الحـديث القدسي الشريف: (.. و من أحبنى أحببته، و من أحببته عشقته، و من عشقته قتلته، و من قتلته كانت عليّ ديّته، و من كانت عليّ ديّته فأنا ديّته)...، و ليكن هو تعالى صاحب العزاء، و يكون بيته المحرّم لا بساً الســـواد الدائم فى حـزنه﴿عليه السلام﴾ الى ان يظهر المهدي المنتظر(عج) و يأخـذ بـثار جدّه﴿عليه السلام﴾ و إبـدال الأسـود أبـيضاً و ادخال الفرح و السرور الى قـلب جـدّه المصطفى﴿صلى الله عليه و آله﴾ و أمه الزهراء﴿عليها السلام﴾

ثانياً: أما الذين أحبّوا الحسين﴿عليه السلام﴾ ـ مـــن غـــير الاســـلاميين ـ و كـتبوا فى ثورته﴿عليه السلام﴾، فيكون حـبّهم للاسـباب التالية:

١ـ ان الحســـــين و الســـــيد المسيح﴿عليهما السلام﴾ يـتّحدان بـالمظلومية، و يتّفقان بالأهداف.

٢ـ ان الحسين و النبي يحيى﴿عليهما السلام﴾ قد ظلما و قطعت رؤوسها و طـافوا بهـا البلدان، فـهام بـعض النـاس حـبّاً فـيه عليه‌السلام.

أسباب اختلاف الآراء فى التفسير و التحليل فيما كتب و يكـتب عـن هـذه الثورة العظيمة:

لقد تـعددت الاسـباب فى اخـتلاف

---

١) البقره، ٢٠٧: " و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات‌الله..."

٢) الفجر، ٢٧ و ٢٨

الآراء، ولكن نذكر أهمها:

۱ـ الحلقات التاريخيه المفقودة التي تغني بها الكتاب و المحققين و الباحثين في هذه الثورة، منها ما أتلفها الحاقدون و المبغضون لآل بيت المصطفى﴿صلی الله علیه و آله﴾، و منها ما قصّر في نقلها المؤرّخون عمداً أوسهوا، و منها لأسباب اخرى نحن في غنى عن ذكرها، و مهمايكن، و أنّ دلّ ذلك على شيء، إنّما يدل على مدى الظلم و التغاضي الذي تعرّض له النبي﴿صلی الله علیه و آله﴾ و أهل بيته الطاهرين،...

۲ـ الدراسات الناقصة و غير الملمّة، أو السطحيّه الضعيفة و غير الجذريّة، للحالة النفسيّة التي كانت عليها المرحلة فيما بعد حياة النبي﴿صلی الله علیه و آله﴾، و خاصّة التي عاشها الامام الحسين﴿علیه السلام﴾.

۳ـ إنعكاس الذهنية الخاصة لكل كاتب و باحث، و هذا ماله التأثير الكبير في صياغة التفسير و التحليل، لأنهما لا يكونان سوى النتاج لتلك الذهنية.

ما يجب على الكاتب و المحقق فيما يكتب في هذا الموضوع:

۱ـ يحاول أن يكون محايداً، و منصفاً الى حدٍّ ما، و يحكّم عقله الخالص في كل ما ذكر وكتب في هذا الموضوع، عارضاً ذلك على الكتاب الكريم و السنّة النبويه الشريفه اللذين هما الثقلين، و أنّهما المحك الرئيسي للمسلمين في تشخيص الحق من الباطل.

۲ـ أن يكون الفرد ذو اطلاع واسع و كاف بالمراحل التاريخيه التي مرّبها الامام الحسين السبط﴿علیه السلام﴾ و أهل بيته الكرام و أصحابه المخلصون قبل و أثناء و بعد واقعة الطف، و لاجل ذلك، عليه أن يراجع جميع المصادر و يدرسها دراسة تحليليه وافية من جميع الجوانب، ثمّ بعد ذلك يتعرّض لكتابة هذا الموضوع، و إلاّ، و بدون ذلك، فسيكون الإعراض عنه و تركه أولى و أكرم له.

و قد لا يخفى على أحد، أن هناك أسئلة كثيرة تطرح حول موضوع هذه الواقعة، رغم مرور اكثر من ۱۳ قرناً عليها، و كثيراً منها لا زالت مدفونة في أذهان المسلمين، وكلها تحتاج الى بيان و توضيح اكثر، بالاستناد على التحليل التاريخي و الاجتماعي ـ و ما يشمل الجانب النفسي و العقيدي... و الأخذ بنظر الاعتبار هذه الفتره السحيقة بيننا و بين تلك الواقعة.

إن التطرّق لهذه الثورة العظيمه، و ذكر أسبابها و ظروفها و نتائجها، ان لم يكن هو المهم... يفوق أهمية على جوانب الاثارات العاطفية، و ان كانت لها أهميتها الخاصه،... و تقع هذه المسؤولية العظيمه على عائق من له باع طويل في هذا المجال من باحثين و محققين و كتّاب من أهل العلم و القلم بإسلوب صحيح و نيّة صادقه و عمل خالص لله تعالى وحده، ليكون بعيداً عن إثارة الحزازات أو المضاعفات التي نحن في غنى عنها، بل نحن في ظرف نكون فيه أحوج لتوحيد الصفوف الايمانية و الدعوة الى وحدة كلمة المسلمين و غرس الحبّ و الودّ و الالفة بينهم.

من أسباب و عوامل عدم الاحاطة التامة لهذه الثورة العظيمة:

۱ـ من البديهي، لا يمكن لاي كاتب أن يتكامل في طموحه، و يلمّ إلماماً كاملاً في كل ما يبغيه، فالله تعالى وحده هو اللامتناهي في العلم و القدرة و الحكمه و... و...، فالعقل الانساني مهماتسامى فهو محدود، و على ذلك، فليس للانسان أن يدرك العلم و الحكمة الالهية كما هي، و كما يعلمها الراسخون في العلم من أوليائه المخلصين، و إنّما يكون نصيبه منها بما أسبغ عليه‌الله منه عطائه و مننه و (العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء)[1]

۲ـ تعدد القضايا و تزاحمها مع البعض في موضوع واحد، بحيث يتعذّر على العقل البشري الجزم و البتّ بها، حيث لا يمكن للانسان الاحاطه التامة بالواقعيات كما هي، و لا إدراكها،... فلو كان له ذلك لما وقع و تورط في كل تلك الشكوك و الجهالات...

۳ـ من يكتب و يتحدث عن حدث تاريخي كواقعة الامام الحسين﴿علیه السلام﴾ عليه أن يتمثل بهذا المثل: (يرى الحاضر ما لا يرى الغائب)[2]، و واضح و بيّن أنّهم كانوا حاضرين و نحن غائبون، و هم مشاهدون و نحن غير مشاهدين، و من هذا الواقع ليس لنا ـ و لغيرهم ـ حق الاعتراض على أيّة واقعة و حدث تاريخي لم نشهده و لم نحط به خبرا،... إذ أنّ أهلها و القائمين بها كان لهم من العلم مالم نعلمه نحن من حيث القرائن و الظروف و الأجواء التي كانوا يعيشونها، و لهم الالمام التام بها من جميع جهاتها، و التي على ضوئها شخصوا تكليفهم بفعل كذا و ترك كذا، و ليس لنا حق التفوّه ضدّهم و الاعتراض عليهم لعدم إلمامنا نحن بالموضوع و عدم معايشتنا إيّاهم،...

۴ـ ان بعض الامور النظرية و العلمية

---

۱) المسترشد ـ الطبري، ۹

۲) الحرّ العاملي، وسائل الشيعه، ۱۱، ۴۴۱

التي يتعذر على العقل البشرى إدراك واقعياتها، يلجأ الى الناحية المنطقيه فى ردّها، و ذلك بطرح أفكار و أطروحات تحتمل محتملات معقوله بعد جمع قرائن على صحتها من ناحية، و من ناحية اخرى لدفع الاستدلال المضادبها. و بتعدد الاطروحات و الاستدلال المضادلها، سيدخل الاحتمال، اذ بدخوله سيبطل الاستدلال. و هذه الحالة النظرية يمكن سحبها و تطبيقها على كثير من حوادث التاريخ بالنسبة الى كثير من الشخصيات المعروفه السابقة، و خاصة إذا كانوا معصومين، بل المعصومين أولى بالصحّه، حيث أنّ أقوالهم و أفعالهم محرزة الصحّة بعد ثبوت عصمتهم ببرهان لا محل لذكره هنا،... فإن لم تكن وجه الحكمة الحقيقية معروفة من بعض امورهم، فبوجود أطروحه او اكثر يحملها على الصحة مما يبطل الاستدلال و التشكيك ضدهم جزما.

٥ـ تعدد الاهداف و الحكم من كل قول أو فعل صادر عن كلّ انسان، سواء كان معصوماً أو غيره،... و هذه الاهداف و الحكم إمّا أن تكون معلومة أو محتملة أو تكون فى (ضمن) الحكمه الالهية،... و المهم هنا أن تكون متعددة، و على هذا ستكون الاطروحات المحتملة المصححة لتلك التصرفات(القول أو الفعل) متعددة أيضاً.

٦ـ لقد ثبت في الفلسفة أنّ لوجود أي مخلوق (إنسان، حيوان، نبات، جماد، أم ملائكة ام غيرهم) حكمة و هدفٌ (علّه غائيّة)[1] فبالرغم من تخيير الله سبحانه الانسان، و إثابه و عقابه، او مدحه و قدحه،... إلا أنّ أفعاله هذه ـ رغم أنها اختياريه ـ و بصفتها من خلق الله سبحانه، ـ و أنّه خليفة الله ـ فهى منسوبة اليه جلّ و علا، و وفقاً لذلك يكون ايجادها ـ و فق القاعدة ـ ذا حكمه و علّه غائية...

و لها تتمة فى العدد القادم

١) صدر الدين الشيرازى (صدرالمتألهين)، الحكمة المتعالية، ٧، ٢٠٩

ادامه از صفحه ٤٧

الى مصرع الشهداء و الى المدينة

و بعد الخطاب النارى لابنة الزهرا(عليها السلام)، خشى يزيد وقوع الفتنه، فاخرج السبايا الى المدينة و ألطق بهم، وفي طريق العودة عرّج الركب على مصارع الطيبين في كربلاء التجديد العهد و استلهام العزم و عقد البيعة مع دماء الشهداء لمواصلة درب التضحية و الفداء.

ثم عادت بطلة الحق الى مدينة جدها و لم ترقأ الدمعة في عينها، و لم تهدأ الحرقة في قلبها فاستقبلتهم مدينة الرسول حزينة باكية ناعية البدور المنيره و السروج المضيئه التي خفتت في أرض كرب و بلاء. و لم تهدأ بنت الرسالة عن نشر رسالة الثورة و تبليغ أهداقها حيث أقامت المآتم في كل مكان و جلست للعزاء و فضحت بني امية بكل بيان حتى ضاق لوجودها والي بني أمية في المدينة و كتب الى يزيد يقول: ان وجود زينب ابنة علي بين أهل المدينة، مهيج للخواطر، فانها فصيحة عاقلة لبيه، و قد عزمت هى و من معها على القيام بالاخذ بثار الحسين، فعرّفني رأيك " فكتب اليه يزيد: أن فرق بينها و بين الناس! فقصدها و الي المدينة و طلب اليها ترك المدينة كى لا تثير الامر عليه و على أميره. فردّت عليه و بكل قوة: قد علم و الله ما صار الينا قتل خيرنا و سقنا كما تساق الانعام و حملنا على اقتاب فوالله لا أخرج و ان أريقت دماؤنا"

و ازداد الامر حدة بينها و بين والي المدينة و هى لاتفتأ في نشر مظلومية أهل بيتها حتى اضطرت للخروج من المدينة الى الشام بعد ان أدّت ما عليها و كانت لسان الثورة الناطق ورائدة الاعلام في نهضة الحسين و قائدة الثورة من بعده و لو لا صدى خطبها لما بقيت عاشوراء الدم و العطاء حية تنبض في القلوب حتى يومنا هذا فالسلام على زينب الحوراء يوم ولدت و يوم استشهدت و يوم تقوم لرب العالمين.

لمصادر البحث

المرأة العظيمة للشيخ حسن الصفار

فى رحاب السيدة زينب للسيد محمد بحرالعلوم

زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدى

١) زينب الكبرى، للشيخ جعفر النقدى، ص ١٢٠-١٢٢